شعر المهجر

في الوقت الذي كانت فيه جماعة الديوان تغني أدبنا العربي الحديث في المشرق بالمفاهيم الجديدة ، والأفكار الحديثة والمعاني المبتكرة ، تلبية لدواعي العصر ، وتجسيداً لمضامينه الاجتماعية والسياسية والفكرية والإنسانية ، كان أدباء المهجر وشعراؤهم في المهجر الشمالي والمهجر الجنوبي ، يندفعون في هذا التيار التجديدي ، ليحققوا مثل إخوانهم في المشرق ما تفرضه عليهم بيئتهم الجديدة وحياتهم المعاصرة، تجسيد لما تتطلبه تلك الحياة في عالمهم الجديد ، وتأثر بما كان يجري في تلك البيئة من تطور ربما لم تصل ريحه إلى شرقنا العربي .

ابواعث الهجرة وظروف النشأة :

يجمع معظم الدارسين على أن وراء الهجرة بواعث اقتصادية وسياسية واجتماعية وأدبية ونفسية ، وهذه البواعث قد تظافرت جميعها أو بعضها على هجرة المئات من اللبنانيين والسوريين من تهيأت لهم ظروف الهجرة إلى القارات البعيدة . .

وعلى الرغم من أن تلك الأسباب كانت كثيرة ومختلفة ، إلا أن العامل الاقتصادي كان أول العوامل التي دفعت بالمهجرين إلى أن يغادروا أوطانهم وينأوا عن أهليهم، ويعانوا ألم الفراق ، وحالات الغربة ، بما يضني نفوسهم، ويعمق إحساسهم بحب الوطن .

فلقد أصيبت الأقطار العربية في القرن التاسع عشر بضعف اقتصادي . نتيجة تدهور الحياة الاقتصادية والسياسية التي عانت منها الدولة العثمانية ، بسبب تكالب الاستعمار الأوربي عليها ، وقد تمثل ذلك الضعف بقلة الانتاج الزراعي وضعف استغلال الأرض مما دفع الكثيرين إلى مغادرة البلاد سعيا إلى تحسين أحوالهم ، ولما سمعوه من استقبال القارة الأمريكية للوافدين عليها.

وتمثل الأسباب الاجتماعية والنفسية ، عوامل فاعلة في الهجرة ، فقد كان اللبنانيون بخاصة يستجيبون للمبشرين الأجانب الوافدين من أوربا وأمريكا . وحققت تلك الاستجابة صلات

وثيقة دفعت بهم إلى أن يجوبوا أقطار الأرض، وأن يستجيبوا للتطلعات البعيدة التي حققتها صلتهم بالمبشرين .

كما أن هناك عاملا تاريخيا نفسيا ، كان يحرك نفوسهم ، فالسوريون واللبنانيون كانوا أحفاد أجدادهم الذين جابوا البحار وعبروا المحيطات غير هيابين ولا عاجزين ، وقد دفعهم هذا الشعور إلى التطلع والطموح شأنهم فيه شأن أجدادهم.

ورافق هذا الشعور حالة من الاستقبال ، شجعتهم على مغادرة أوطانهم، قاصدين أية أرض تحقق لهم الغني والثراء.

وهكذا نرى هذه الأسباب مجتمعة من (ضغوط اقتصادية أدت إلى فقر البلاد، واختناق الحياة فيها . ثم تأثير المبشرين الأجانب ، ودعايات الشياح وتشجيع شركات الملاحة ، يكلل كل ذلك ميل طبيعي نفسي عند اللبنانيين إلى المخاطرة وركوب الأهوال في سبيل العيش والكسب) ولم تكن ظروف المهاجرين في بيئتهم الجديدة سهلة ،

خصوصا في أيامهم الأولى التي حطوا فيها الأرض الأمريكية ، خصوصا أن معظمهم كانوا فقراء ، إذ لم يمتلكوا أو يحملوا معهم في سفرهم ، ما يهيئ لهم عملا أو يدر عليهم كسبا . لذلك كان عليهم أن يواجهوا الحياة بالعمل الجاد والكفاح المتواصل والإرادة القوية .

وقد عانوا فور وصولهم القارة الجديدة الحرمان والفقر ، فتمزقت نفوس الكثيرين منهم وشعروا بجرح كرامتهم ، وتمنى بعضهم لو لم يقدم على الهجرة . ولاحت لهم صورلبنان وجبالها وسفوحها وشواطئها ، وخضرة سوريا وأنهارها وبساتينها ، بما يجسد حنينهم إلى بلادهم ويعكس حياتهم الصعبة الجديدة ، بما يثير العواطف الإنسانية والأحاسيس . القوية

وتصور أبيات الشاعر مسعود سماحة ، تلك الرحلة المضنية من حياة المهاجرين بقوله :

كم طويت القفار مشية وحملي — فوق ظهري يكاد يقصم ظهري

كم قرعت الأبواب غير مبال — بكلال وقر فصل وحر

كم ولجت الغابات والليل لجو — وميض البروق شمسي وبدري

كم توسدت صخرة وذراعي — تحت رأسي وخنجري فوق صدري

على أن الذي استطاع أن يحول بينهم وبين الهزيمة والاستسلام ، صبر طويل وصمود شديد ، أعانهم على أن ينهضوا بموقفهم ، ويحققوا شيئا فشيئا طموحاتهم، ويجسدوا أحلامهم وأمانيهم . إذ لم تمر سنوات قليلة حتى تحولت تلك الحال إلى حال أفضل ، بعد أن تكيفوا للبيئة الجديدة ، وأخذوا بأسبابها المادية والحضارية والاجتماعية ، حتى صارت تلك الأرض الجديدة والأصقاع البعيدة ، موطنا لهم ، يعيشون مع أهله، – ويتفيؤون بظلاله ، ويعملون يدا بيد مع الذين مدوا لهم يد العون .

لكن ذلك الثراء والمجد لم يقطع تلك الجسور التي كانت تصلهم بوطنهم وبأرضهم ، ولم تبتعد بشعورهم عن حب أهلهم وإخوانهم ، لذلك ظل شعر الحنين من أخصب الموضوعات التي تغنوا بها اعتزازا وشوقا وحبا .

النشاط الأدبي :

وقفنا فيما تقدم على بواعث الهجرة وظروفها ، ورأينا أن المهجرين قد صمدوا لعاديات الزمن ، حتى تحقق لهم في آخر الأمر مستوى من الحياة أعانهم على الاستقرار .

ويهمنا هنا ، التعرف على الجانب الأدبي من حياتهم ، وما أتسع لهم من النشاط في الشعر والأدب ، والذي استطاع أن يشق طريقه في تلك الأصقاع البعيدة ، على الرغم من الصعاب التي جابهته . حتى استوى له شكله ، فإذا هو يشق الحجب ويجوب الافاق فتكونت له شخصيته المتميزة وإبداعه الفني و تجديده الذي صار أهم ما يميزه من الشرق . وصار له رواده في مجال الشعر والنقد والنثر . بل لقد صار أدب المهجرفيما بعدئذ يستقطب النقاد والدارسين في الشرق قبل الغرب ، فكانت الدراسات الأدبية والنقدية من أهم مظاهر حركة التجديد في الأدب والنقد .

ولقد تمثل هذا النشاط ، فيما سعى إليه أدباء المهجر وشعراؤه من تأسيس الجمعيات الأدبية التي لبى نداء تأسيسها كوكبة من الشعراء والأدباء في أمريكا الشمالية فإذا بالرابطة القلمية تعكس نشاطهم في الولايات المتحدة ممثلة بمجموعة يتصدرها جبران ونعيمة وأبو ماضي ونسيب عريضة ورشيد أيوب وندرة حداد والريحاني وأمين مشرق وغيرهم.

وتقوم في المهجر الجنوبي جماعة العصبة الأندلسية ، ويتقدمها ميشال معلوف وشفيق المعلوف والشاعر القروي ونعمة قازان والياس فرحات وسلمى صائغ وغيرهم.

ويشتد نشاط هؤلاء وأولئك ، حتى تستنفر عدد من المعنيين بأدبهم ، فيكتبون عنهم ، وينشرون نتاجهم ، ويطبعون دواوينهم ودراساتهم.

ويتولى ذلك نخبة من أشهر أدباء الأقطار العربية ، أمثال العقاد والمازني ومحيي الدين رضا ونادرة سراج واحسان عباس ومحمد يوسف نجم وعبد الحكيم بلبع و كمال نشأت وأنس داود ونظمي عبد البديع وعيسى الناعوري وغيرهم.

وليس هذا فحسب ، فقد كان للتجديد الذي حققه أدب المهجر ، صدى جيد في نفوس أدباء المشرق فإذا هم ينسجون على منواله ، ويكتبون على غراره ، وينتهجون منهجه ، فيكون لأسلوب جبران والريحاني وأمين مشرق ، صدى في أساليب كثيرين من أمثال مي زيادة والمنفلوطي . بل أن أول تنظير نقدي عربى حديث ، ممثلا بكتاب | الديوان) للعقاد والمازني يلتقي في أفكاره ومناهجه و آرائه بكتاب (الغربال) لميخائل نعيمة .

ا

ويشتد التواصل بين الجماعات العربية والهجرية ، حتى تنعقد الصلة الفكرية . والروحية بينهما وبهذا يرسي أدب المهجر صرحه العتيد ، وتكون له شخصيته المتميزة، – ويكون له تأثيره ، بحيث صار يشكل ظاهرة من أنضج الظواهر الأدبية في عصرنا الحديث.

ولقد انعكس النشاط الأدبي في الولايات المتحدة على جماعة (الرابطة الأدبية) التي تأسست في أول الأمر عام ١٩٢٠. وقد أقروا جميعاً شروطاً معينة لتأسيس الرابطة ، وحددوا أهدافها الأدبية والإنسانية . وأصدرت الجماعة سنة ١٩٢١ (مجلة الرابطة القلمية) واشترك في تحريرها جبران ونعيمة وعريضة وأيوب وغيرهم.

وراحت الجماعة تنشر القصائد ، وتكتب المقالات النقدية والدراسات الأدبية، تكتب عن أدب الشرق وتترجم لأدب الغرب.

ولقد أتسع نشاط أدباء الرابطة القلمية لكل أتجاه شعري وفن أدبي (لقد نظموا الشعر وتفوقوا فيه ، وأبدعوا في نظمه وانتقاء مواضيعه وقوالبه و وكتبوا نثراً عاطفياً وتصويرياً واجتماعياً ،

فكان نثره شعراً رائعاً ساحراً، وكتبوا في القصة أقاصيصهم ورواياتهم ، من أجود ما عرفه الأدب العربي في فن القصة . وقد نهج أغلبهم في آدابهم

النهج الفلسفي ، فكان أدب جبران وأبي ماضي ونعيمة ونسيب عريضة يتميز بنزعته الفلسفية الروحية أو الاجتماعية ، ويشترك معهم الريحاني في ذلك إلى حد كبير).

أما في المهجر الجنوبي فقد تشكلت (العصبة الأندلسية) عام ١٩٣٣ مجموعة كبيرة من الشعراء والأدباء ، في طليعتهم ميشال معلوف وداود شكر ويوسف غانم وشكر الله الجر ، وقد انظم اليها فيما بعد، شعراء أكثر نشاطا وأوسع شهرة أمثال شفيق المعلوف والشاعر القروي رشيد سليم الخوري ونعمة قازان والياس فرحات ورياض المعلوف وسلمى صائغ .

وأسست الجماعة مجلتها الأدبية التي أتسعت للفنون الشعرية والأدبية على السواء، كما نشطت في كتابة المقالات النقدية ، وترجمة الأدب العربي ، ونشروا الكثير من الدواوين والدراسات الأدبية والنقدية والأعمال القصصية والملاحم الشعرية . وقد وصل معظمها إلى الشرق.

ولم يقتصر هذا النشاط الأدبي الشعراء المهجر وأدبائهم على ما قدموه من شعر ونثر بل تجاوزه إلى النشاط الصحفي الذي أنشئ بعيدا عن الرابطة القلمية في الشمال والعصبة الأندلسية في الجنوب .

ومن ذلك (جريدة الهدى) و (مرأة الغرب) و(البيان) و (السمير) و (السائح) وكانت تلك الصحف والمجلات حريصة على اللغة العربية وأدبها وتاريخها.